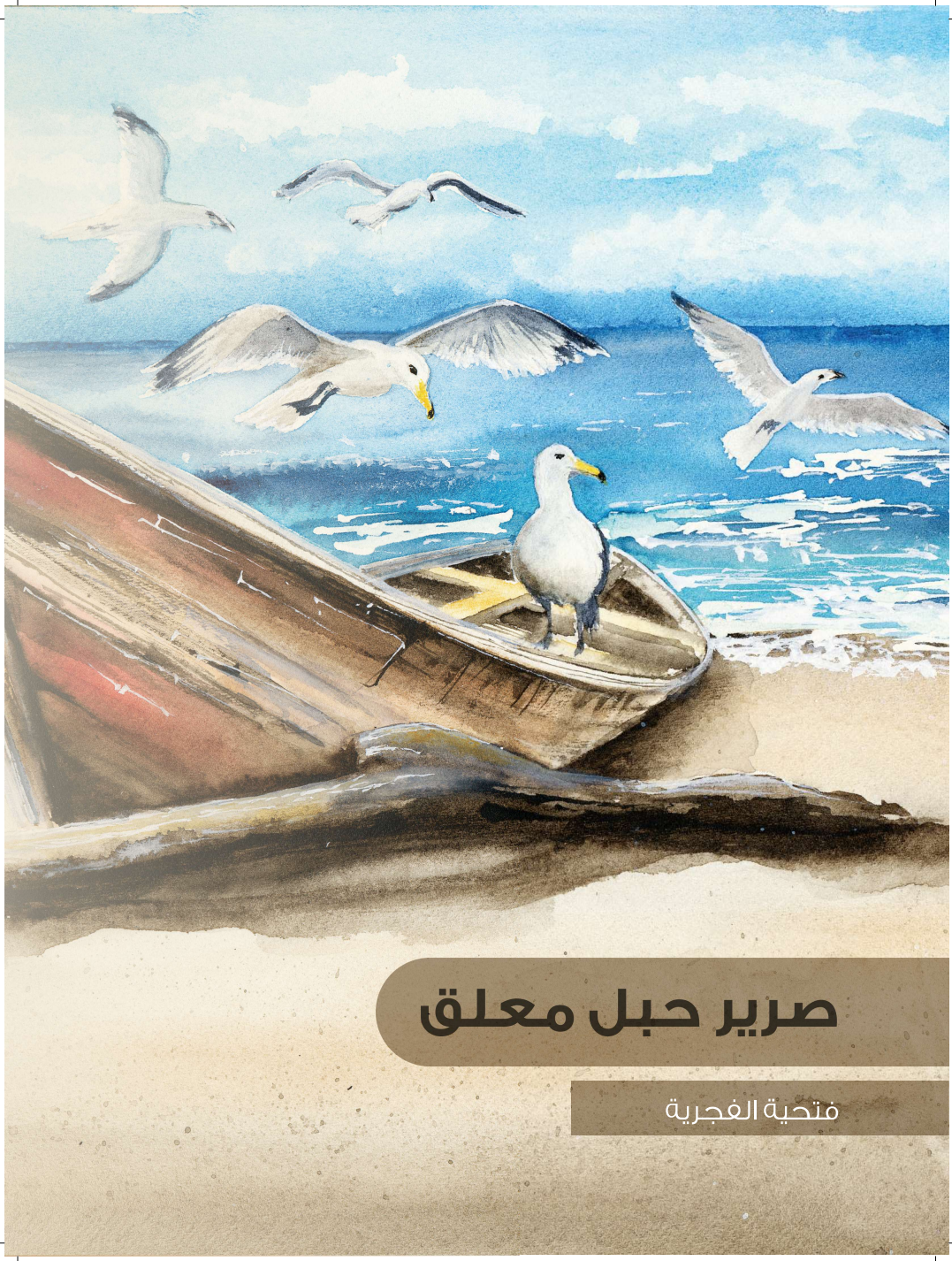

صرير حبل معلق

فتحية الفجرية

Altakween_2022_59v MZ.indd 106 1/8/23 9:10 AM

في سماء شهر صيفي، تذرع شمسة الجهات وترجم ما تحتها بلهيب لم يعرفوا مثيلا له، ترجم البحر بأشعتها الذهبية الملتهبة تحيله لامعا كالزئبق، ملوحة البحر الطازجة ترشق الصيادين والمتجولين هناك قرب القوارب طمعا في سمكة بعد أن يقدموا المساعدة في دفع وجر قوارب الصيد السماوية اللون كلون البحر والسماء الصافية، ليصلوا به إلى الشاطئ ويبدأ بعدها البيع و»المزابن» في شراء وبيع الأسماك الطازجة.

موسيقى الطبيعة فقط كل ما حولهم، أصوات «الحواري» أو نوارس البحر، صوت ارتطام مياه البحر على القوارب التي يلفظها البحر، «هوام» الصيادين، وترنيماتهم، رائحة البحر النافذة، ملوحته وهو يلثم الوجوه بعد حركة موجة ارتطمت على هيكل القارب..

ذات مكان كان النساء والرجال هناك، الصغار والكبار على ذلك الشاطئ، يحملون «المزامي» والبعض في صناديق يحملون الصيد بعد مساعدتهم للبحارة.

من بينهم طفلة وطفل في العاشرة من أعمارهم يسكنون بعيدا بعض الشيء عن تلك البقعة ويفصلهم طريق عن المكان... اعتادوا في تلك الحقبة من الزمن الإتيان بخيرات البحر لأهلهم وقت كانت البساطة والحياة البسيطة كل ما يمتلكون.

وذات يوم بعد أن أخذوا صيدهم، غادروا المكان يغمرهم الحبور، أخذوا يمشون الهوينة ويترنمون ببعض الترنيمات، وترشقهم الشمس بضوئها الحارق، يلثمهم رذاذ مياه البحر على وجهيهما، صاروا بمسافة بعيدة عن البحر، تعبوا قليلا، لثقل ما يحملون، مع رشق شمس الصيف وتلويح وجوههم بحرارتها الحارقة، تحدث الطفل وقال: علينا أن نستريح قليلا من «لاهوب» الشمس.

أجابت الطفلة: حسنا أشعر بالإعياء قليلا من حرارة الشمس كما أنني أشعر بالعطش وبحاجة للماء.

وقفوا ينظرون من حولهم لمكان يظللهم، أي شيء يستظلون تحته في هذه المساحة القفر الشاسعة. أكملوا سيرهم إذا بهم بشجرة «غاف» معمرة، ذات جذع بندقي، سميك وتكاد ترى تجاعيد السنين عليه، منذ أن نبت إلى الآن، شجرة ذات ظل وارف، أوراقها بين لونين الأصفر والأخضر الفاتح وذلك بفعل الشمس وشح المياه، هناك في ذلك المكان البعيد القفر، حيث لا أحد.

فقط بضع شجيرات وأرض غبيراء وخور يتجمع فيه مياه البحر والأمطار مكونا أفدنة ومساحات من الملح المشرب بالكثير من تلك الأرض من بقايا ما أخذته المياه وعجنته في مياهها أثناء جريانها...

حفيف الأشجار، رائحتها الصيفية الطازجة، صوت طائر الرمل، حركة الرمل اللولبية بفعل الرياح، موسيقى الطبيعة السحرية المؤثرة.

قرر الطفلان الاستراحة تحت ظل الغافة المعمرة يلتقطان أنفاسهما لبرهة قبل العودة إلى منازلهما البعيدة بعض الشيء عن هذه البقعة...

يلفحهم «الغربي» محيلا وجوههما الحمراء من حرقته، لبرهة سمع الطفلان صوت صرير حبل في الجوار، التفتا للخلف يتتبعان الصوت الذي يصلهما، إذا بهم بحبل معلق في الشجرة المعمرة ويتأرجح يمنة ويسره، ولا من أحد هناك سوى صرير الحبل الملتوي وهما..!!!!.

حبل معلق في شجرة معمرة يتأرجح يمنة ويسرة للاشيء، للفراغ، لمن ومن هنا ومن يقوم بأرجحة الحبل وفي مكان بعيد عن البلدة ونحن لا نراه؟!!!

وفي هذا الوقت!!!!

من يا ترى هنا ومن خلف كل هذا؟!

ما استطاع الطفلان مناداة أحد لأنهما لا يرون أحدا ليخاطباه، نظر أحدهما للآخر وقد جفت عروقهما خوفا مما يفكران به من قصص الأمهات لهم حول ما يحيط بهم مثل قصة « أم السعف والليف» وغيرها الكثير.

ربط الطفلان بقصص الأمهات وفجأة هربا مذعورين وقلوبهما هويا أرضا، فإذا بهم يركضان بلا وجهة، كما نقول نحن أهل الساحل «بلا هِداية".

يركضان كأن هناك من يلاحقهما وسيمسك بهما ويقيدهما إلى مكان غير مكانهما أو عالم غير عالمهما، سيأخذهم للا شيء لذلك المكان الذي تخيلاه لحظة فكرا أن يكون كل ما شاهدوه قد يكون جزءا من تلك القصص التي تخيفهما بها الأمهات..

استمر الطفلان في الهروب، سقط «مُصّر» الطفل من يده عدة مرات وسقط السمك أيضا والتقط منه ما قدر عليه وترك الباقي هناك على تلك الأرض التي يشبه لونها لون الحليب.

وحين تراءت لهما البيوت الصغيرة المبنية من تربة البحر وأصدافه، في الجانب الآخر من البلدة، شعرا بالأمان قليلا وعادت أرواحهما لأجسادهما، وصلا بيتهما ورويا القصة لأمهاتهما من البداية للنهاية.

المعاني:

المزابن: المناداة، المزايدة.

الحواري: نوارس البحر

هوام: نوع من أغاني الصيادين

المزامي: جمع مفردها مزمية، وهو وعاء من سعف النخيل يوضع فيه الأسماك وغيره له من الجوانب مقابض، ويعرف بالقفير أيضا.

لاهوب: رياح حارقة جافة.

غاف: نوع من الشجر.

طائر الرمل: نوع من الطيور.

الغربي: مفردة قديمة تطلق على الجو الحار الجاف.

مُصّر: قطعة قماش تلف حول الرأس، يرتديها الرجال.

Altakween_2022_59v MZ.indd 107 1/8/23 9:10 AM